

شرح كتاب (عقيدة السلف وأصحاب الحديث) لأبي عثمان الصابوني - رحمه الله.

شرح فضيلة الشيخ

أ. د. أحمد بن عبدالرحمن القاضي

بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس (٢١)

نتعلم في هذا الدرس:

١. وسوسة الشياطين.
٢. السحر والسحرة.
٣. آداب أصحاب الحديث وسلوكهم.

[وسوسة الشياطين]

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ،ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

قال أبو عثمان رحمه الله:

(ويعتقدون أن الله سبحانه خلق الشياطين يوسوسون للآدميين، ويعتمدون استزلالهم ويطردون لهم، قال الله عز وجل: {وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ} . وإن الله يسلبهم على من يشاء، ويعصم من كيدهم ومكرهم من يشاء، قال الله عز وجل: {وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (64) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا} ، وقال: {إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَىٰ

الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (99) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَىٰ الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ } هذه القطعة تتعلق بوسوسة الشياطين، والشياطين: جمع شيطان مأخوذ من الشطن وهو البعد، والشياطين هم كفرة الجن، وأبوهم إبليس، وهذه الوسوسة نابعة عن العداوة الأزلية الأبدية بين الشيطان وبني آدم، بل بين الشيطان وآدم وذريته من بعده، فإن الله سبحانه وتعالى لما خلق آدم بيديه ونفخ فيه من روحه، وقع في نفس الشيطان إبليس الذي كان مجتهداً في العبادة حتى بلغ في ذلك مصاف الملائكة، وقع في قلبه من الحسد والكبر ما حمله على عصيان ربه، وعدم السجود لآدم حين أمر الله ملائكته بالسجود له: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ } ، فجرى ما جرى من طرده من رحمة الله، ثم إنه لما وقع ذلك؛ أظهر العداوة لآدم وذريته، قال الله عز وجل حاكياً عنه: {قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (82) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ} .

وقال في موضع آخر: {قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنِ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلاً} - عياداً بالله - وفي موضع ثالث: {قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (16) ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ} ، فياله من وعيد وتهديد، لا ينجي الله تعالى منه إلا من عصم ومن سبقت له من الله الحسنى، فمنذ ذلك الحين والشيطان أيها الإخوة يكد لبنى آدم، وقد حذر الله تعالى بني آدم من فتنته ومن كيدِهِ {يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَتَرَعَّ عَنْهُمَا لِبَاسُهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا} فكما أنه أغوى الأبوين في الجنة فاقترفا المعصية، وسقط عنهما ما كان يستر عوراتهما الحسية فكذلك هو في الحياة الدنيا يسعى جاهداً وبنوه من الشياطين في إغواء بني آدم بشتى أنواع الأساليب والوسوسة؛ حتى يسقط عنهما ما كان يستر سوءاتهم المعنوية ولهذا قال الله عز وجل: {يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُم لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَلِكَ خَيْرٌ} ، فاللباس الحسي هو ما يوراري السوءات، ولذلك فطر الإنسان على ستر عورته؛ إلا والعياذ بالله من انقلبت فطرته وفسد مزاجه فإنه يجب إليه العري، وإما اللباس الثاني فهو لباس التقوي الذي يعصم العبد عن الوقوع في معاصي الله عز وجل، إذاً قد جعل الله تعالى لهؤلاء الشياطين نوع تأثير على بني آدم هو الوسوسة، وأصل الوسوسة في اللغة هو: الصوت الخفي، كما قال الأعشى:

تسمع للحلي وسواساً إذا انصرفت كما استعان بريح عشرق زجل

أو كما قال. فهو الصوت الخفي، والمراد به هذا الحديث الذي يجده هذا الإنسان في نفسه، وإن كان الواقع إن الوسواس له ثلاثة مصادر:

أحدها وأكثرها: هو وسواس الجن.

والثاني: هو وسواس شياطين الإنس قال الله عز وجل: {شِيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا} ، وقال سبحانه: {مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (4) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (5) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ} .

وأما المصدر الثالث: فهو وسوسة النفس ذاتها، قال الله تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ} ، فأثبت الله تعالى وسواساً للنفس.

إذاً هذا التسليط وهذا التأثير واقع حقيقة، وهو من أعظم أسباب انحراف بني آدم، فمن عصمه الله تعالى وأعادته من الشيطان سلم، وما لا فلا، فإنه يقع فريسة لتزيين الشيطان وتحذيله وتشيطه وتخويفه وسائر ألوان التأثير التي ذكر الله تعالى، فهذا التسليط يدل عليه قول الله تعالى: {وَاسْتَفْزِرْ مَنْ اسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ} كل هذه أنواع تأثيرات للشيطان على ابن آدم {وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ} ذلكم أن العبد إذا لم يستعد بالله ولم يسم الله؛ شاركه الإنسان في طعامه وشرابه، بل ومنكحه، {وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعْدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا} ما الذي يعد الشيطان قال الله عز وجل: {الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا} ، ثم قال تعالى: {إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا} ذلكم أن عباد الله استعادوا به، قال الله تعالى: {وَأَمَّا يَتَرَعَّنَكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}، فالعدو الجني لا ينفع معه إلا الاستعاذة بالله تعالى، أما العدو الإنسي فتنتفع معه الملاحظة والمصانعة، والمدافعة بالتي هي أحسن، قال الله تعالى: {ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ}، وقال سبحانه:

{نَهَ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (99) إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ} إذا الواجب إليها الإخوة أن يستعيد العبد بربه حتى يقيه فتنة الشيطان ووسواسه.

السحر والسحرة

ثم قال الشيخ رحمه الله:

(ويشهدون أن في الدنيا سحرا وسحرة، إلا أنهم لا يضررون أحدا إلا بإذن الله عز وجل) {وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ}، (ومن سحر منهم واستعمل السحر، واعتقد أنه يضر أو ينفع بغير إذن الله تعالى فقد كفر، وإذا وصف ما يكفر به استتيب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه، وإذا وصف ما ليس بكفر، أو تكلم بما لم يفهم فهي عنه فإن عاد عزر، وإن قال: السحر ليس بجرام، وأنا أعتقد إباحته وجب قتله، لأنه استباح ما أجمع المسلمون على تحريمه) القطعة تتضمن إثبات السحر وبيان حقيقته، وتتضمن حكم السحر والساحر.

فأما السحر في اللغة: فهو ما خفي ودق ولطف سببه، وأما في الاصطلاح: فالسحر عزائم ورقى وعقد وأدوية وتدخينات تأثر في القلوب والأبدان؛ فتمرض وتقتل وتفرق بين المرء وزوجه بإذن الله الكوني لا الشرعي، أي أن الله تعالى أذن بذلك كونًا ولكن لم يأذن به شرعًا، قال الله عز وجل: {وَاتَّبِعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ}، الإذن الكوني: {وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ}.

إذا السحر قديم في بني آدم، وقد تعلمه الناس من هذين الملكين: هاروت وماروت، ولكنهما كانا فتنة واختبار للناس، فما يعلمان من أحد حتى يخبراه بحقيقة الأمر: {إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ}، فهذا يدل على أن السحر كفر، وأنه حقيقة فمن أنكر السحر فقد كذب بما في القرآن، فلا يجوز إنكار السحر، بل السحر حق واقع بإذن الله الكوني لا الشرعي.

والسحر نوعان: منه ما يكون بالأدوية والتدخينات دون الاتصال بالشياطين، فهذا لا يبلغ بصاحبه حد الكفر، بل فيه التعزير البالغ، وعليه قول الشيخ رحمه الله: **(وإذا وصف ما ليس بكفر، أو تكلم بما لم يفهم نهي عنه فإن عاد عزر).**

وأما النوع الثاني: فهو ما يكون بالاتصال بالشياطين؛ فهذا شرك أكبر وهو من الموبقات السبع، شرك وكفر مخرج عن الملة، لعدة وجوه:

أولاً: أنه يقع به التقرب إلى الشياطين بما يحبونه من العبادات، تقرباً شركياً؛ فيندرون لهم ويدبحون لهم ويسجدون لهم، يفعل هذا الساحر والعياذ بالله؛ ليلغوه مقصوده.

أما الوجه الثاني: ما فيه من دعوى علم الغيب، حيث يزعمون أنهم يعلمون الغيب، وقد قال الله سبحانه وتعالى: **{قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ}** فهذا النوع لا شك أنه كفر، وعليه قول الشيخ رحمه الله: **(ومن سحر منهم واستعمل السحر، واعتقد أنه يضر أو ينفع بغير إذا الله تعالى فقد كفر، وإذا وصف ما يكفر به استتيب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه).**

وبناءً عليه فإن حكم الساحر عند الجمهور، عند مالك وأبي حنيفة وأحمد أنه كافر وأنه يقتل كفراً، وبعضهم قال يقتل حداً، وأما الإمام الشافعي رحمه الله؛ فطريقته في ذلك الاستفصال، على نحو ما ذكر أبي عثمان الصابوني، لأن أبا عثمان الصابوني كان شافعيًا؛ فطريقته الاستفصال، والحقيقة أنه لا خلاف بين الشافعي رحمه الله والجمهور في هذه المسألة، وإنما سبب الخلاف هو عدم تحرير محل التزاع في هذه المسألة فيما يتناوله لفظ السحر، وإلا فإن السلف مجمعون على أن من تقرب لهؤلاء الشياطين؛ لا شك أنه كافرًا كفرًا ناقلًا عن الملة، وكذا من ادعى علم الغيب، أما من استعمل شعوذة لا تبلغ حد الاتصال بالشياطين؛ فهذا لا يبلغ به حد السحر.

كذلك من أنكر السحر، أو أنكر أنه محرم: قال الشيخ: **(وإن قال: السحر ليس بجرام، وأنا أعتقد إباحته وجب قتله، لأنه استباح ما أجمع المسلمون على تحريمه).**

آداب أصحاب الحديث وسلوكهم

ثم قال الشيخ رحمه الله:

((ويجزم أصحاب الحديث المسكر من الأشربة) قصده أي يعتقدون حرمة، وإلا فإن التحليل والتحريم من الله.

(المتخذ من العنب أو الزبيب أو التمر أو العسل أو الذرة أو غير ذلك مما يسكر، يجرمون قليله وكثيره، وينجسونه ويوجبون به الحد) قال الله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} (90) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةَ وَالْبُغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ } ، وقال نبينا صلى الله عليه وسلم مبيناً حد الخمر: ((كل مسكر خمر وكل خمر حرام)) رواه مسلم. ((ما أسكر قليله فملاً الكف منه حرام))، وقال عمر رضي الله عنه: (نزل تحريم الخمر وهي؛ من العنب والتمر والعسل والحنطة والشعير، والخمر ما خامر العقل). حديث متفق عليه موقوفاً على عمر رضي الله عنه.

إذاً ليس الخمر عند أهل الحديث مقتصرًا على ما كان من العنب فقط، وإنما كل ما كان سبباً في مخامرة العقل على سبيل اللذة والطرب فهو خمر، وإنما قلنا على سبيل اللذة والطرب؛ ليخرج بذلك ما لم يكن به المقصود به التلذذ والطرب؛ كالمخدر الذي يسمى البنج الذي يستخدم في العمليات فإنه يخامر العقل، ويغيب الإنسان عن الوعي، لكن ليس على سبيل اللذة والطرب.

ثم قال رحمه الله:

(ويرون المسارعة إلى أداء الصلوات وإقامتها في أوائل الأوقات أفضل من تأخيرها إلى أواخر الأوقات) فالمسارعة والبدار إلى أداء الصلوات في أول الوقت؛ أفضل من أدائها في آخره، وإن كان جميع الوقت محلاً لأدائها كما صنع جبريل مع النبي صلى الله عليه وسلم حينما صلى به في يومين متتالين، صلى به الصلوات الخمس، مرة في أوائل أوقاتها ومرة في أواخر أوقاتها سوى المغرب، وقال صلى ما بين هذين الوقتين، فكل ذلك وقت لها والله الحمد، لكن المبادرة بأدائها في أول وقتها أفضل، ومما يدل على ذلك صريحاً قوله النبي صلى الله عليه وسلم: ((أفضل الأعمال الصلاة في أول وقتها)) رواه الترمذي والحاكم، وصححاه، وأصله في ((الصحيحين)) من حديث أبي سعيد أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن أحب الأعمال إلى الله فقال:

((الصلاة على وقتها)) وقال العلماء على تفيد الاستعلاء وذلك يكون في أول الوقت، وما رواه الترمذي والحاكم؛ أصرح في الدلالة على ما ذكر الشيخ.

قال: **(ويوجبون قراءة فاتحة الكتاب خلف الإمام)** قال نبينا صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق عليه فيما رواه عبادة بن الصامت: ((لا صلاة لمن لم يقرأ بأم القرآن))، وقد زاد الشيخ في تقرير وجوب قراءة الفاتحة خلف الإمام، وهذه المسألة مختلف فيها على أقوال متعددة، وما ذهب إليه الشيخ هو مذهب الشافعي، وهو الأقرب والله أعلم، والأحوط، أن قراءة الفاتحة تجب على كل مصلي في كل ركعة، تجب على الإمام والمنفرد والمأموم، وأن قراءة الإمام لا تكفي عن خلفه؛ لهذا الحديث: ((لا صلاة لمن لم يقرأ بأم القرآن))، وفي حديث آخر: ((من لم يقرأ بأم القرآن فصلاته خداج))، فهذه العمومات تدلنا على رجحان مذهب الشافعي رحمه الله في هذه المسألة وهو: تعين قراءة الفاتحة على كل مصلي في كل ركعة، إمام كان أو مأموم أو منفرداً، وقول الجمهور أنها تقرأ في الصلاة السرية في سكتات الإمام، ومن العلماء من قال تجب قراءتها في السرية دون الجهرية؛ فإن قراءة الإمام في الجهرية قراءة لمن خلفه، والأرجح والأحوط ما قررناه أولاً، وهو مذهب الشافعي.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ونبيه محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.